ISSN-E: 2617-9563

" القيم الاجتماعية في سورة الكهف "

إعداد / مسلم سليمان محمد المحمادي

ISSN-E: 2617-9563

الملخص
سورة الكهف بهذا الاسم الجميل العجيب قد سماها الله سبحانه وتعالى كما سمى غيرها من سور القرآن الكريم، والكهف هو شقّ في الجبل فيه سَعةٌ من الداخل، أي شقّ واسع داخل الجبل، فإن كان ضيقاً ولا وسع فيه فهو الغار، فيقال: كهف لما انشق داخل الجبل وكانت فيه فسحة، ويقال: غار لما انشق في الجبل ولم يكن فيه اتساع.
والكهف المذكور في السورة هو كهف الفتية أصحاب الكهف، أي تلك الفئة المؤمنة التي سعت إليه هربا من الظلم والسلطة الظالمة، هرباً من الشرك والمشركين، فارين بعقيدة التوحيد الصحيحة السليمة، أوى الفتية إلى الكهف فنشر لهم ربهم من رحمته وهيأ لهم من أمرهم مرفقا، فكانوا في حفظ الله وعنايته، وانتهوا إلى فضل الله ورحمته.
فسميت السورة بهذا الاسم الكهف، وهي سورةٌ مكية أنزلت قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلذلك هي تتحلى بصفات السور المكية، كما تحرص أيضاً على تأسيس العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولكنها توضح هذا الهدف بطريقة مميزة، حيث أنها تُظهر تأثير العقيدة في حياة الإنسان، وأن العقيدة الصحيحة والتي هي تعد مجموعة من التصورات والمعتقدات عن هذا الكون وما فيه وما حوله، مثل: من أنا كالإنسان من أنا؟ وما هي فائدة وجودي؟ وما هو تأثري في الكون؟ وما هذا الوجود الذي حوله؟ ولماذا؟ ماذا وراء هذه الماديات؟ أتوجد غيبيات أخرى أم لا؟ ومن الذي خلق كل هذا وصنعه ببديع الصنع وجميل الخلق؟، فخلقه وسوَّاه وأعطى كل خلقٍ صورته وجعل لكل خلقٍ مهمةً وهداه إليها؟ وأين هذا الخلاق الرزاق القوي العليم البديع، أين هو؟ هل نستطيع أن نراه أو لا نستطيع؟ وهل يمكن التعرف عليه؟ كما توجد بعض القضايا الاجتماعية التي تضمنت عليها سورة الكهف والتي تناولتها وأوضحتها بطريقة بديعة الوصف والتفاصيل الدقيقة التي سنوضحها فيما يلي.
كلمات مفتاحية:
القضايا الاجتماعية-الكهف.

Abstract
Surah Al-Kahf, with this beautiful and wondrous name, has been named by God Almighty, as He has named other surahs of the Holy Qur'an. The mountain and there was space in it, and it is said: a cave when the mountain was cleft and there was no breadth in it.
And the cave mentioned in the surah is the cave of the young men, the owners of the cave, that is, that believing group that sought it to escape from oppression and unjust authority, to escape from polytheism and polytheists, fleeing with the correct and sound doctrine of monotheism. In God's protection and care, and end up to God's grace and mercy.
The surah was named by this name, The Cave, and it is a Meccan surah that was revealed before the migration of the Messenger, may God bless him and grant him peace. Therefore, it has the characteristics of a Meccan surah, and it is also keen to establish the correct Islamic belief, but it clarifies this goal in a distinctive way, as it shows the impact of belief in human life. And that the correct belief, which is a set of perceptions and beliefs about this universe and what is in it and around it, such as: Who am I as a person, who am I? What is the benefit of my existence? What is my influence on the universe? And what is this existence around him? And why? What is behind these materials? Are there other Occult or not? And who created all this and made it with exquisite craftsmanship and beautiful creation? So He created it and fashioned it and gave every creation its image and made every creation a mission and guided it to it? And where is this Creator, Provider, Powerful, All-Knowing, Brilliant, where is he? Can we see it or not? Is it recognizable? There are also some social issues that were included in Surat Al-Kahf, which I dealt with and explained in a wonderful way of description and precise details, which we will explain below.
Keywords:
Social issues- Alkahf.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هديه وسار على منهاجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

أظهر الله تعالى فضله على أتباعه بإرسال رسول باركه الله وسمّى النبي محمد. كما أُعطي الوحي الإلهي للقرآن دليلاً لتعليم الناس وتطهيرهم وتثقيفهم، القرآن كتاب شامل يحتوي على العقيدة والشريعة والقيم والمبادئ الإسلامية، إنه وحي لا تشوبه شائبة من الله الحكيم المحمود، ولا يمكن أن يقترب منه باطل من أي اتجاه.

وهو دستور حياة متكامل يتضمن كافة نواحيها فلا يغفل عن شيئا منها، قال تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (الأنعام: 38)، أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية القرآن كمصدر للتربية من خلال أفعاله وسلوكه، كما اتبع الصحابة الرسول هذا المثال وطبقوا تعاليم القرآن في حياتهم اليومية، مما مكنهم من الوصول إلى السلطة والسيادة على الأرض. كمسلمين، تقع على عاتقنا مسؤولية استنباط المبادئ والقيم التربوية من القرآن واتباع السنة النبوية التي هي قدوة لنا.

يتناول القرآن الكريم مجموعة واسعة من القضايا الاجتماعية التي تختلف باختلاف الأفراد والمواقف والمواضيع. من الأساليب التي يستخدمها القرآن لتثقيف الأفراد في جميع جوانب الحياة من خلال "القصص القرآنية" ، وهي منهج تعليمي شامل يهدف إلى رفع الروح والعقل والجسد، قال تعالى: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف 176)

بينت الآيات الأولى من سورة الكهف أنَّ أعظم نعمة أنعمها الله -سبحانه وتعالى- على عباده هي إنزال القرآن الكريم، لأنَّه يحتوي على علاج أكيد لمشكلات البشرية جميعها، ومُخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن وظائفه إنذار الذين كفروا بالعذاب، كما أنَّه في الجهة لمقابلة يبشر الذين آمنوا بالنعيم المقيم.

تشير قصة أصحاب الكهف إلى أنَّ لله -عز وجل- آيات عجيبة من خلق السموات والأرض والمخلوقات، إضافة إلى العجب في تلك الحادثة، فرار الفتية الذين آمنوا بدينهم من الفتنة وتركهم للأهل والأموال والأصحاب، دليل جواز لهذا الفعل لكل من يتعرض للأذى في دينه، فضل الدعاء وكرمه عند الله -سبحانه وتعالى-، حيث إنَّ الفتية بعد أن لجأوا إلى الكهف أخذوا يدعون ربهم -سبحانه وتعالى- أن يهيئ لهم من أمرهم رشداً فكان من أمرهم ما كان.

الدين الإسلامي هو دين المساواة لم يفرق بين غني وفقير أو بين رئيس ومرؤوس، ونستشف ذلك من أمر الله -سبحانه وتعالى- لنبيه -صلى الله عليه وسلم- بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم من الفقراء، وعدم التطلع إلى مجالسة الكبراء الذين لم يؤمنوا.

وأما قصة الرجل المؤمن والكافر دليل بأنَّ الأموال كثيراً ما تؤدي بصاحبها إلى التفاخر والتكبر، ولكن قدرة الله -سبحانه وتعالى- التي آتت المال تملك بين لحظة وأخرى أن تسلب ذلك المال، فيصير صاحب المال صفر اليدين. قصة سيدنا موسى مع الخضر -عليهما الصلاة والسلام- تُبين وجوب تواضع طالب العلم وإن كان نبياً لمعلمه، وتشير إلى رحمة العالم بتلاميذه، فعل سيدنا الخضر -عليه السلام- يُبين أنَّ هناك أموراً تجري لحِكَم لا تظهر للناس، يعلمها الله -سبحانه وتعالى-، وقد يظهرها لبعض أوليائه أو أنبيائه، وأن ما فعله الخضر في المواقف الثلاثة من باب اختيار أخف الضررين.

مشكلة الدراسة:

وتدور مشكلة الدراسة حول طرح الأسئلة الآتية:

- ما هو مضمون سورة الكهف؟
- ما هي القصص التي تشملها سورة الكهف؟

- ما هي قيم القضايا الاجتماعية التي تشملها القصص القرآنية في سورة الكهف؟
- ما هي الأمور المستفادة التي تخلفها القصص في سورة الكهف؟

أهداف الدراسة:

ويهدف البحث إلى الآتي:

- معرفة هذه السورة وعلاقتها بالقصص الذي غلب عليها.
- التعرف على قصص سورة الكهف وموضوعاتها ومقاصدها.
- توضيح دور القضايا المذكورة في القصص القرآنية.
- إبراز القضايا الاجتماعية التي شملتها قصص السورة ومدى تأثيرها على سلوك الإنسان.
- إثبات الإعجاز القرآني للقصص الذي لا يحده زمان ولا مكان.

أهمية الدراسة:

نزل الله عز وجل كلامه العزيز للناس حتى يدبروا آياته ويفهموها كما يريد سبحانه وتعالى وليكون هذا الفهم قائدا لهم للإيمان الحقيقي الذي تجد الدعوة إليه والتمجيد بأصحابه ظاهرا جليا في سورة الكهف، وما جاء به المرسلون أعظم وأجل من الإيمان بالله وتوحيده وتصديق ما جاء به رسله بل هو غاية خلق الخلق: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦)، فلذا تنبع أهمية قصة أصحاب الكهف مما يلي:

كونها ضربت أروع الأمثلة والنماذج على الأيمان بالله واليوم الآخر فقد قررت فضل أصحاب الكهف وكيف رفع الله ذكرهم وجعل لهم محبة بين الناس بثباتهم ووزنهم الأمور بموازين الآخرة الحقيقة لا بالموازين المادية الزائلة وبراءتهم من الشرك وأهله.

قاصا بالحق أخبار قوم قد فضلوا في أزمانهم وفق ما وقع الخبر به فيها، وأن الله تعالى يفضل من يشاء، ويفعل ما يشاء، وأدل ما فيها على هذا المقصد قصة أهل الكهف لأن أخفي ما فيها من القصص مع أن سبب فراقهم لقومهم الشرك، وكان أمرهم موجبًا بعد طول نومهم للتوحيد وإبطال الشرك. (البقاعي، 12/1)

وهذه القصة قررت ما جاء في الآيات المكية التي اهتمت بتقرير الأيمان بالله وحده كما ذكرنا، وتقرير صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله كما سيظهر من إخباره عن أمور الغيبيات الماضية من قصص من سلف، وهو ظاهر في سبب النزول لآيات من سورة الكهف حين سأله يهود عن أهل الكهف كما سيأتي تفصيله.

- تظهر في هذه القصة قيم الثبات والعلم والتواضع والإخلاص والإيمان الحقيقي والتي تحث الإنسان على الثبات على إيمانه إن كان مستضعفا، وكيف يتعايش مع واقعه بحسب قدرته وطاقته.
- أن في دراسة هذه السورة والعناية بالقضايا الاجتماعية المذكورة بها عصمة قوية من شر الفتن والوقاية منها، اقتداء بالأمثلة التي ضربها الله تعالى للصالحين في السورة وما مروا به من مواقف.

منهج الدراسة:

المنهج الذي استخدمت في هذا البحث المنهج التحليلي فهو المنهج الذي يعني بتحليل ما استقرأه الباحث من النصوص والأفكار والمصادر القديمة حيث أقوم بتحليل القصة القرآنية من خلال سورة الكهف.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية:

القضايا الاجتماعية في سورة الكهف.

الحدود الزمنية:

(2023م).

الدراسات السابقة:

ومن ضمن الدراسات السابقة التي تتعلق بموضوع الدراسة:

- الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف، تأليف: فهد بن عبد الرحمن السويدان، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للدعوة والاحتساب ١٤٠٣-١٤٠٤هـ، وهي رسالة قيمة وقد ركزت هذه الدراسة على جوانب الصراع والتداول بين الحق والإيمان وأعداءهما، ولم تركز على المحور الأعم في هذه السورة من تقييم المعتقد وتصحيحه، وكذلك ركزت على الفقرات التي فيها صراع بشكل مباشر أو غير مباشر.
- الصراع بين الإيمان والمادية، تأملات في سورة الكهف للإمام أبو الحسن علي الحسيني الندوي كبير علماء الهند، دار الإيمان ببيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م، وهي دراسة موضوعية ليست شاملة لجميع فقرات السورة بل ركزت على القصص القرآنية الواردة، وإن كانت تميزت بأسلوب عميق وأدبي ساحر وتميزت بدراسة مقارنة للقصص عند أهل الكتب الأخرى، إلا أنها ليست سائرة على المنهج العلمي للتفسير الموضوعي الذي يكاد أن يستقر، وكذلك سأزيد بحوث تفسيرية قد لا يكون تطرق لها العالم نظرا لاهتمامه بالعرض الأدبي للسورة.
- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم قام بإعداده: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ.د/ مصطفي مسلم لسورة الكهف، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة الإمارات العربية المتحدة، 1431هـ ٢٠١٠م، وقد أعد سورة الكهف أ.د/ أحمد بن محمد الشرقاوي، وهي دراسة مفيدة علميا ومنهجيا وقد سارت على المنهج المقترح للتفسير الموضوعي، إلا أني سأزيد في دراستي للقضايا الاجتماعية في سورة الكهف ما أظنه أكثر ترتيبا وتوزيعا للفقرات والمواضيع داخل السورة وستتجه دراستي لمحور أعم من المحور والمقصد الذي تبناه صاحب الدراسة وهو (العصمة من الفتن) وكذلك ستكون هناك فوائد وزيادات علمية قد يكون تجنبها الباحث بسبب المنهج المقترح عليه من الجامعة التي تبنت الدراسة، ومع هذا فلا شك أن دراسة الأستاذ الفاضل مميزة جدا وهو عالم مكثر لا يجارى، وقد استفدت منها، فجزاه الله خيرا.
- عامة الدراسات التفسيرية التي تكلمت عن تفسير السورة تفسيرا تحليليا، وهي أمهات التفسير قديما وحديثا.

المطلب الأول: التعريف بسورة الكهف

أولا تسمية السورة وفضائلها

أ- أسماء السورة

ورد في سورة الكهف اسمين فقط وهما:

الاسم الأول: سورة الكهف

وقد وقعت هذه التسمية للسورة في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث عدة منها عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال". (مسلم، 555/1)

وكما وردت عن تسميتها عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كابن مسعود والبراء بن عازب.

عن البراء بن عازب قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وحبل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال: "تلك السكينة نزلت بالقرآن". (مسلم، 548/1)

وجه التسمية:

سميت سورة الكهف لتضمنها المعجزة الربانية في قصة أصحاب الكهف التي ذكرتها السورة بتفصيلها، وهي دليل حاسم ملموس على قدرة الله الباهرة. (الدوسري، 255)

الاسم الثاني: سورة أصحاب الكهف.

تم ذكر هذه التسمية في مصحف نسخ في القرن الحادي عشر الهجري، في بلاد اليمن، بلفظ (سورة أهل الكهف). (الدوسري، 256)

كما وقعت هذه التسمية في أحاديث رويت عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم منها حديث فتنة الدجال وهو حديث طويل. "... فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة أصحاب الكهف"، والمشهور من هذين الاسمين هو الأول. (الترمذي، 510/4)

وجه التسمية:

ذكرت قصة أصحاب الكهف تنويها عن شرفهم وتخليدا لذكرهم وتكريما لهم، وتقدير لثباتهم وتضحيتهم، فضلا عما تحويه قصتهم من نموذج عملي فريد ومثال تطبيقي رشيد لمن سلك طريق النجاة من الفتن. (مسلم، 283/4)

ب - فضائل سورة الكهف

ورد في فضائل هذه السورة الكريمة أحاديث وآثار كثيرة تدل على فضلها وشرفها وترغب قراءتها وتدبر معانيها.

1- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: " من قرأ الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة ". (البيهقي، 354/3)

2- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: " من قرأ الكهف يوم الجمعة أضاء الله النور بين الجمعتين". (البيهقي، 535/3)

3- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: هن من العتاق الأول، وهن من تلاذي". (البخاري، 572)

- فضل أوائل الكهف:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" وفي لفظ فتنة الدجال". (مسلم، 555/1)

5- حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يقول: " قرأ رجل الكهف، وفي الدار دابة فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته، قال فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اقْرَأْ فُلان فإنها السكينة تنزلت عند القرآن أو تنزلت للقرآن". (مسلم، 548/1)

ثانيا سبب نزول السورة ومكيتها وعدد آياتها

سبب النزول:

وسبب نزولها ما ذكره كثير من المفسرين أنّ المشركين لما أهمهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم وازدياد المسلمين معه، وكثر تساؤل الوافدين إلى مكة من قبائل العرب عن أمر، دعوته بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة (يثرب) يسألونهم رأيهم في دعوته وهم يطمعون أن يجد لهم الأحبار ما لم يهتدوا إليه مما يوجهون به تكذيبهم إيّاه، فإنّ اليهود أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء (أي صفاتهم وعلاماتهم) ما ليس عند المشركين. (بن عاشور، 242/15)

فقدم النضر وعقبة إلى المدينة، ووصف لليهود دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأخبارهم ببعض قولهم، فقال لهما أحبار اليهود سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهنّ فهو نبي وإن لم يفعل فالرجل متقول.

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟

وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها؟

وسلوه عن الروح ما هي؟

فرجع النضر وعقبة فأخبرا قريشا بما قاله أحبار اليهود، فجاء جمع من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن هذه الثلاث، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أخبركم بما سألتم عنه غدا - وهو ينتظر وقت نزول الوحي عليه بحسب عادة يعلمها ولم يقل: إن شاء الله.

فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث أيام لا يوحى إليه وقيل خمسة عشرة يوم، فأرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا اليوم عدة أيام لا يخبرنا بشيء مما سألناه عليه حتى أحزن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه، ثم جاءه جبريل عليه السلام - بسورة الكهف وفيها جوابهم عن

الفتية وهم أهل الكهف، وعن الرجل الطواف وهو ذو القرنين، وأنزل فيما سألوه من أمر الروح (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: 185) (بن عاشور، 242/15)

المشهور بين العلماء "أنّ سورة الكهف مكية كلها، وأنها من السور التي نزلت جملة واحدة"، فقد نزلت في العهد المكي حيث لقي الرسول صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه في هذه الفترة العديد من المحن فجاء سورة أصحاب الكهف تسلية وتثبيتا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم. (شحاتة، 200)

نزلت بعد سورة الغاشية وقبل سورة الشورى وهي الثامنة والستون في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد. (بن عاشور، 242/15)

ج - عدد آيات سورة الكهف:

هناك اختلاف بين القراء في تقسيم بعض الآيات. "عدت أيها في عدد قراء المدينة ومكة مائة وخمسا وفي عدد قراء الشام مائة وستا، وفي عدد قراء البصرة مائة وإحدى عشرة وفي عدد قراء الكوفة مائة وعشرا. (بن عاشور، 242/15)

ثالثا المناسبات:

علم المناسبات بين سور القرآن الكريم أو بين الآيات من العلوم الدقيقة تحتاج إلى معرفة بمقاصد القرآن، فكل سورة لها مناسبة لما قبلها ولما بعدها، وبين اسمها ومحورها وبين أولها وآخرها، وسوف أتناول أهم هذه المناسبات.

مناسبة بين افتتاحية سورة الكهف وخاتمة ما قبلها "الإسراء": -

يقول فخر الدين الرازي: "والذي أقوله هاهنا أن التسبيح أينما جاء قائما جاء مقدما على التحميد، ألا ترى أنه يقال سبحان الله والحمد الله إذا عرفت هذا فنقول: إنه جل جلاله ذكر التسبيح عندما أخبر بأنه أسرى محمد الله فقال: (سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) (الكهف: 1) وذكر التحميد عندما ذكر أنه أنزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم فقال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ تَجْعَل لَّهُ عِوَجاً) (الكهف: 1)

وفيه فوائد:

أن التسبيح أول الأمر لأنه عبارة عن تنزيه الله عما لا ينبغي وهو إشارة إلى كونه كاملا في ذاته والتحميد عبارة عن كونه مكملا لغيره إذا عرفت هذا فنقول: ذكر عند الإسراء لفظ التسبيح وعند إنزال الكتاب لفظ التحميد، وهذا تنبيه على أن الإسراء بها أول درجات كماله وإنزال الكتاب غاية درجات كماله. (الرازي، 74/21)

وقال مصطفى مسلم: "الصلة بين خاتمة سورة الإسراء وفاتحة سورة الكهف واضحة، حيث اختتمت سورة الإسراء بحمد الله تعالى، وتكبيره وبدأت سورة الكهف بالحمد وهذا من باب "تعانق الأطراف. (مسلم، 290/4)

وقال البقاعي: "لما ختمت تلك بأمر الرسول الله والحمل عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بدأت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص منبها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكام". (عمر، 12/2)

المطلب الثاني: القضايا الاجتماعية في سورة الكهف

التمسك بالحق ورفض الظلم -

(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا

إِذًا شَطَطًا ۝ هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا) (الكهف: 16/9)

وتصور لنا قصة أصحاب الكهف التضحية بالنفس في سبيل العقيدة، تضحية فتية مؤمنون خرجوا من بلادهم فرارا بدينهم ولجأوا إلى كهف في الجبل حيث مكثوا نياما ثلاث مائة وتسع سنين ثم بعثهم الله بعد تلك المدة الطويلة، وتبدأ هذه القصة الآية التاسعة من حتى السادسة والعشرون. (عبيب، 164)

فهي القصة الأولى المذكورة في السورة قصة رجال الكهف كانوا ناسا مؤمنين وعاشوا في بلد ملحد وعندما لاحظوا أن الناس تهدد حياتهم بسبب إيمانهم، تركوا المدينة وذهبوا الى كهف في سبيل الله.

وهناك أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بالنوم وعندما استيقظوا، وبحلول ذلك الوقت كان كل الناس من مدينتهم أصبحوا مؤمنين هكذا، تظهر هذه القصة أنه عندما يتوكل شخص على الله سبحانه وتعالى ثم على إيمانه، يأتي دائما لنجدتهم ومساعدتهم في تخفيف الصعوبات التي يواجهونها.

الدرس الذي نتعلمه من هذه القصة هو أن الله سبحانه وتعالى يضع الإيمان في الشخص ليعرف المؤمن الصامد في إيمانه، ثم يساعده الله بطرق يصعب على العبد الضعيف فهمها.

إن قصة أصحاب الكهف قصة الصراع بين الحق والباطل وبين العقيدتين، صراع بين الإيمان بغير الله وما يتبعها، وبين الإيمان بالغيب والإيمان بالله عز وجل صراع بين نفسية الفتية المطمئنة بالإيمان وبين نفسية الحكام والشعب المضطربة أمام الأوثان وزهرة، الدنيا وهي قصة عجيبة خارقة تبعث في النفوس روح المعنوية وتنشط فيها قوة الاعتبار اختارها القرآن لتكون درسا عمليا لهذه الأمة، وتبقى هذه القصة وعبرتها الحياة في جميع القرون البشرية. (ابن كثير، 161)

في القصة قيم اجتماعية هامة وهي كما يلي:

1. سرعة الاستجابة للحق وقوة التمسك بالإيمان والعزم وبذل الجهد في سبيله، واجتناب الأمور التي تسبب الفتن، هذه أخلاق أصحاب الكهف الذين عاشوا في أجواء الباطل، الحكومة الوثنية لا تقبل إلا الوثنية، والمجتمع خليع لا يرضى إلا بالخلاعة ولا حياة إلا بالحكومة والمجتمع أخلاق ينبغي أن تتجلى بها المؤمن لأنها هي التي تجعل الانبياء مكرمين والأولياء محبوبين، وهي أسباب الكرامة والفلاح. (طبيان، 204)
2. إيثار الآخرة على الدنيا وزينتها، فأصبحت الكهف افتتنوا بزخرف الدنيا و متاعها، وعقيدة الفاسدة و لكنهم نجحوا من هذه الابتلاء وواقع الحياة حينئذ بفرض عليهم ان يخضعوا للحكومة و المجتمع، فلا شبع من غير طعام، ولا طعام من غير مال ولا مال إلا عند الحكومة، ولا شرف و سمعة إلا بالجاه، ولا جاه إلا بالوظيفة ولا وظيفة عند الحكومة، ولا هدوء ولا سلامة إلا بمسايرة الناس وموافقة إلا بإتباع العقيدة السائدة والاتجاه العام لذلك أختار الغار الضيق مأوى لهم بدلا من القصر، كله لأجل الإيمان و لتحقيق سعادتهم الأخروية، وترك الدنيا لأنها زائلة لا قيمة لها بدون الإيمان وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الدنيا حلوة خضرة، و إن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعلمون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء". (مسلم، 2742)
3. الصبر والتوكل على الله تعالى وحسن التيقن به، لما خرج الفتية المؤمنة من أوطانهم، ما كان لهم إلا الصبر على ترك الأهل والأصدقاء، وتركوا الدنيا وتوكلوا على الله تعالى في سبيلهم مع ا القناعة بما لديهم من زاد قليل ويتقوا الله تعالى رب العالمين واعتقدوا أن في إيمانهم به رضا، وفي رضاه نصرا، وفي نصره فلاحا. (الزحيلي، 181)

لذلك قالوا: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ، وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا) (الكهف: 16)

4. تمام الخضوع لله تعالى هذا يتجلى في عدم الحكم بغير علم وترك الجدال فيما لا يأتي بخير فلما اختلف الفتية عن مدة لبثهم في الكهف ردوا الأمر إلى الله تعالى وقالوا: (ربكم اعلم بما لبثتم) وهذه موقف الفتى

يجب أن يتخلق به كل مسلم، وينظر إلى الأمور من الأهم فالأهم، ويعرض عن التافه منها ولقد حذر الإسلام من التنازع والجدل وكثرة الاختلاف، لأنها سبب هلاك الأمم من أقدم العصور إلى يومنا الحاضر، قال رسول الله عليه وسلم: (فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم و أخلاقهم على أنبيائهم) (مسلم، 1337)، اللهم الجدال بالتي هي أحسن، امتثالا لأمر الشارع: (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (الكهف: 125)

5 . الحذر الكامل من الوقوع في الفتن، وتأدية الأعمال والواجبات على حذر وهدوء هذا الخلق مهم في ميدان الدعوة، فالعدو يتصيد أخطائنا كل الأحوال، والمنافق ينتظر غفلتنا والحساد يلازم الثغور تتربص لإحاطة لنا، فعلى الداعي المتمسك بالإيمان أن يتحرى الحذر في الدعوة. (الشعراوي، 8980)

وهذا التأخير في ظاهرها إخراج للرسول صلى الله عليه وسلم تدعيم لدى دعاوي المشركين، ولكن الله أحل هذا الجواب لحكمة لا يعقلها إلا ذووا البصائر، إننا نعتقد جازمين أن الحكمة كل الحكمة والخيرة للمرء فيما اختاره الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين وعلى رأسها الخيار الذي يختاره الله سبحانه وتعالى لأنبيائه ورسله، وقد يظهر لنا وجه الحكمة وقد يخفى، ولكن مشيئة الله وخيرته في الحذر الكامل من الوقوع في الفتن، وتأدية الأعمال والواجبات على حذر وهدوء، هذا الخلق مهم في ميدان الدعوة، فالعدو يتصيد أخطائنا كل الأحوال، والمنافق ينتظر غفلتنا، والحساد بلازم الثغور تتربص لإحاطة لنا فعلى الداعي المتمسك بالإيمان أن يتحرى الحذر في دعوته ذلك خير وأبقى. (ابن كثير، 169)

الرضا (صاحب الجنتين) -

(وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا* كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً* وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَاْ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً* وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـذِهِ أَبَداً * وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً* لَّكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا* وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا* فعسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا* أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا* وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا* وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً* هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) (الكهف: 44/32)

القصة الثانية في سورة الكهف هو الشخص الذي كان له حديقتان، وكان من الأثرياء والأغنياء ومع ذلك، ثروته أدت به للتشكيك في إيمانه، وبسبب ذلك حرمه الله سبحانه وتعالى من كل حيلة وخير دنيوي، مما جعله يدرك طبيعة زوال النعم في هذا العالم.

وينطلق القرآن في الاتجاه المتمثل في رفض اعتبار الثروة المالية قيمةً حياتيةً كبيرةً بعيداً عن الإيمان ومسؤوليته، فيصوّر لنا صورة رجلين، يملك أحدهما الثروة والجاه والولد، بينما لا يملك الآخر ما يملكه صاحبه، ولكنه يملك الإيمان بالله، والإحساس بعظمته وبفضله على الإنسان في كل شيء، ما يجعله يحسُّ بنعم الله عليه في كل مظهر من مظاهر وجوده، ويعرف إلى جانب ذلك ـ قيمة الحياة ودورها ووظيفتها في مسؤولية الإنسان، فلا يستسلم لنعيمها، ولا يضعف أمام شقائها، لأنه يعلم أن ذلك كله بيد الله، الذي اقتضت حكمته أن يزول ذلك كله، فلا يبقى للإنسان منه إلا النتائج العملية لما قام به من دور في الحياة.

-تقديم النصيحة وإظهار الحق (أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ)، يقول تعالى مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار، وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين، كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية كل

أحد يعلمها من نفسه؟! فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوماً ثم وجد، وليس وجوده من نفسه ولا مستنداً إلى شيء من المخلوقات؛ لأنه بمثابته، فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه، وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء، فجاء النُصح هنا مدعما بالقرائن التي تدعمه.

-الشكر وعدم الجحود (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ...)، هذا تحضيض وحث على ذلك إذ أعجبتك حين دخلتها ما :ونظرت إليها- حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، وقلت شاء الله لا قوة إلا بالله، ففي هذا شكر لله تعالى وعدم جحود بنعمه وفضله على عباده.

وبهذا يتجسّد لنا الفارق الكبير بين العقليتين والاتجاهين في فهم الحياة، من خلال الحوار الذي أداره القرآن الكريم بين الرجلين، لنستوحي منه الفكرة التي تحكم الموقف في حساب القيم والمعاني الكبيرة في الإسلام.(بن عاشور، 242/15)

إنها الصورة الرائعة التي يجسّدها لنا القرآن في أسلوبه الرائع. فنحن نرى في الصورة أن صاحب الجنتين قد بدأ الحوار مع صاحبه من موقع الإحساس بالقوة والفوقية والامتياز، بسبب ما يملك من كثرة المال والأتباع، فكان خطابه معه ينطلق من محاولته لإخضاعه نفسياً، بمواجهته بواقع الفارق الكبير بينهما، وتميزه عنه.

(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ) من هذا المجتمع المتنوع المتناقض، الذي يحمل في داخله الكثير من العقليات المختلفة في مسألة وعي القيم المادية والروحية في الحياة، فهناك الذين يعتبرون المادة كل شيء، فهي الأساس في المستوى الكبير والصغير في قيمة الإنسان، وهي العمق الذي تكمن فيه المشاعر الإنسانية التي تحكم العلاقات، وهناك الذين يعتبرون القيمة الروحية الأساس في احتواء العلاقات الإنسانية، والتحكم في حركة الواقع، والارتفاع به إلى المستوى الأعلى في الحياة عندما ترتفع في وجدان الإنسان، أو تنخفض به إلى المستوى المنحدر فيها، مما يؤثر سلباً على مشاعره.

وهكذا يتقابل هذان الرجلان أمام التناقض في المشاعر والمواقف فيما يتمثل به واقع كل منهما في طبيعة العيش. وقد أراد الله أن يصور لنا هذين الرجلين اللذين {جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ}، حيث تتهدل العناقيد كمثل اللآلئ في أعالي الكروم، {وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ} يحيط بهما فيعطيهما جمالاً وشموخاً وارتفاعاً، {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا} تخضرُّ به الأرض وتزهو وتزدهر وتنتج الكثير مما يغذي الروح والجسد والبصر... {كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا} فقد أعطت كل نتاجها الشهي، ولم تنقص منه أيَّ شيء {وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً} يسقي الكروم والنخيل والخضرة المتنقلة في كل مكان، فيمنحها الحياة والنمو والازدهار. ثم نلاحظ استسلام صاحب الجنتين لحالة الرخاء والنعيم اللذين يتمتع بهما، واعتقاده استمرار ذلك كله في شعورٍ طارئ بالخلود، وثقة كبيرة بالمستقبل كله في الدنيا والآخرة، لو كان هناك آخرةٌ ـ كما يوحي تفكيره ـ انطلاقاً من إحساسه بضخامة شخصيته، على أساس أن حالته المالية والاجتماعية تفرض علوّ شأنه، ورفعة منزلته، وكرامته لدى الله. ولهذا، فإنه مطمئن إلى وضعه كل الاطمئنان.(بن عاشور، 242/15)

أما كثرة المال وكثرة الولد، التي تقابلها قلة المال وقلة الولد لدى هذا المؤمن، فليست شيئاً، ما دام الله هو الذي يعطي، وما دام المؤمن يشعر بالارتباط به، فما المانع من أن يعطيه الله خيراً من جنته، وما الذي يمنح الغني الأمان، بأن لا يرسل الله على هذا كله حسباناً من السماء، فتصبح الأرض مقفرةً بعد اخضرار، أو ظمأى بعد ارتواء.

ونستنبط من هذه القصة ما يلي:

- أن كل ثروة هي أيضا اختبار من الله سبحانه وتعالى. لذلك، على الأثرياء والأغنياء خصوصا أن يعلموا أن النعم التي تمنح لهم هي في الواقع اختبار لهم إذا كانوا سيشكرون عليها الله أم لا.
- يجب على المسلم أيضا أن يعلم أن النعم في هذا العالم كلها مؤقتة وعابرة، لذلك، عندما تصبح متاحة يجب أن يشكر الله عليها خصوصا وأن هناك ناس آخرون ليست لديهم هذه المتع الدنيوية.

فالقرآن الكريم، يوضح الله سبحانه وتعالى هذه الأمور الدنيوية وطبيعتها الزائلة. قال تعالى في سورة الكهف: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) (الكهف: 45)

فيجب على المسلم أن يعلم أن النعم في هذا العالم كلها مؤقتة وعابرة، لذلك عندما تصبح متاحة يجب أن يشكر الله عليها خصوصا وأن هناك ناس آخرون ليست لديهم هذه المتع الدنيوية.

- نبذ الغرور والتعالي والتحذير من عاقبتهما، فجاءت الآيات التي قصت تلك القصة محذرة من نهاية الغرور والتكبر وعاقبتهما التي تؤدي بصاحبهما إلى الهلاك في الدنيا وربما في الآخرة أيضاً.

- تواضع العالم (الخضر وسيدنا موسى)

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَل أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ (65)(فَوَجَدَا عَبدا مِّن عِبَادِنَا ءَاتَيۡنَٰهُ رَحمَة مِّن عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلما وَكَيفَ تَصبِرُ عَلَىٰ مَا لَم تُحِط بِهِۦ (67) قَالَ إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرا (66)أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمتَ رُشدا قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعتَنِي فَلَا تَسـلنِي عَن (69) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ ٱللَّهُ صَابِرا وَلَآ أَعصِي لَكَ أَمرا (68)خُبرا شَيءٍ حَتَّىٰٓ أُحدِثَ لَكَ مِنهُ ذِكرا) (الكهف: 69/65)

القصة الثالثة المذكورة في سورة الكهف هي لنبي الله موسى مع الخضر، عليهما السلام حيث اعتقد موسى عليه السلام ألا أحد في هذا العالم أعلم منه، فبعث الله سبحانه وتعالى له الخضر، الذي أثبت أنه يعرف أكثر من موسى عليه السلام في الكثير من القضايا الدرس الذي يمكن تعلمه من هذه القصة هو أن المعرفة دائما نسبية، وأن هناك دائما شخص أكثر دراية ولديه فهم أفضل للأشياء من المرء بذاته.

وتمثل التّواضع في سبيل طلب العلم فقد بلغ موسى عليه السلام- من علوّ المنصب ما بلغ ولكنه تواضع لذلك العالم الخضر عليه السلام الذي آثره الله تعالى بعلم، خاص فسافر إليه موسى عليه السلام لطلب ذلك العلم وما جرى من الأخبار الغيبية التي لم يعرفها موسى عليه السلام حتى أعلمه بها ذلك العبد الصالح الخضر عليه السلام - كقصة خرق السفينة وحادثة قتل الغلام وبناء الجدار"، تبدأ من الآية ستين إلى الآية الثانية وثمانين. (عبيب، 164)

العلم هو من القيم الضرورية التي حثّ عليها الإسلام فأول آية نزلت هي "اقرأ"، ولقد شرف الله الإنسان وكرّمه وميّزه عن باقي المخلوقات بالعقل لكي يستطيع أن يتحمل أمانة الخلافة. ولقد عرف العلماء العلم بأنه "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع " والقرآن نبهنا على أهمية هذه القيمة وفضيلتها في العديد من الآيات من بينها قصة موسى عليه. (الحجاجي، 414)

ففي قصة موسى عليه السلام مع الخضر تناولت قيمة العلم وهي من القيم الضرورية الموجبة فبالتعلم يتم المحافظة على العقل فقال تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا وَآتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف 65-66].

- حسن اختيار الصحبة وعدم التعنيف في حالة الخطأ أو النسيان (ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ)، إن أولى الناس بالاقتداء هم الرسل عليهم السلام جميعا، فنجد في الآية الكريمة السابقة حلم سيدنا موسى عليه السلام وكيفية تعامله مع الخطأ أو النسيان، فلم يغضب أو يقوم بتوبيخ الغلام أو حتى معاتبته بل تعامل بهدوء وحكمة.

ۡ...) واستكمالا لحلم وحكمة -إلتماس العفو بالتبرير (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ سيدنا موسى عليه السلام التماسه العفو والعذر للمبرات التي قيلت له، وتقبلها بصدر رحب، إلى جانب حسن الاستماع وعدم الترهيب.

-الحرص على طلب العلم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف 66]، قال سعيد حوى "دليل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه، وفيه دليل على أنّ الإنسان كلما ارتقت نفسه لم يبق عنده كبر، فهذا موسى

السلام مع الخضر وقصة ذي القرنين رسول من أولي العزم لم يجد غضاضة أن يطلب من الخضر عليه السلام- أن يعلمه". (حوي، 3215/6)

فهذه القصة قد وضحت لنا مدى حرص سيدنا موسى على طلب العلم النافع ومدى تواضع الخضر، كما بينت أدب تلقي العلم والتعامل مع المعلم.

-الصبر وتحمل المشاق كما في قوله تعالى على لسان سيدنا موسى (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا)، فنجد في الآية أهمية الصبر على الهدف المرجو والسعي إليه وتحمل العقبات والمشاق حوله.

-التأدب في طلب العلم واحترام العلماء مهما بلغ منصب ومكانة الطالب، كما قال سيدنا موسى عليه ْ)، وعلى الرغم من كون سيدنا موسى هو رسول من رب السلام في قوله تعالى: (وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا العالمين إلا أن هذا لم يمنعه أن يسعى في طلب العلم بأدب لم يمسس وقاره ومكانته العظيمة.

-عدم التسرع في إصدار أحكام مسبقة قبل معرفة الحقائق (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا)، إن التسرع في إصدار الأحكام هو أمر خطير بالفعل فقد يتسبب في سوء فهم للأحداث وهو ما حدث في قصة سيدنا موسى مع الخضر، فلم يعلم الحكمة من خرق السفينة ولم يكن لديه صبر لسماع سبب خرقها الحقيقي فأصدر حكما عن سوء فهم.

-ثقافة الاعتذار ومعاقبة النفس على الخطأ، (فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِي عُذْرًا)، لم يتكبر رسول الله عليه السلام أن يقر بخطأه وأن يعتذر بل وحدد عقابا لنفسه إن كرر هذا الخطأ.

-بيان الإشكال وإظهار الحقائق (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا)، فهنا بيان لأهمية توضيح الإشكال وسوء الفهم والعمل على إظهار الحقيقة حتى يتسنى للجميع رؤيتها بوضوح واستيعاب ما بها من أمور وخفايا.

كيفية استخدام السُلطة ومقوماتها (ذي القرنين) -

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) (الكهف: 84/83)

القصة الرابعة هي قصة الملك العظيم ذي القرنين الذي سافر في جميع أنحاء العالم لمساعدة الناس الذين كانوا في حاجة له ولينشر الخير أينما ذهب، وكان أحد الذين قدموا الإغاثة إلى قوم من خطر يأجوج ومأجوج.

من هي الدرس الذي يمكن تعلمه هذه القصة هو أن السلطة أيضا هدية واختبار الله إلى أولئك الذين يتقلدون السلطة، الذين تجب عليهم مقارنة حالهم مع الآخرين واستخدام هذه القوة لفعل الخير وجعل حياة الناس أسهل ومحاربة الشر.

باختصار، سورة الكهف بالإضافة إلى الفوائد والأجور التي تأتي من تلاوتها، يمكن لفهم مضمونها أن يساعد المسلمين على استخراج دروس قيمة تساهم في تشكيل حياة المرء نحو طريق البر.

قصة عبد مكّن الله له في الأرض وسخر له العلم والقوة، والآلات والمواصلات وأتاه من كل شيء سببا، وقد استغل هذه الإمكانيات في عمل مثمر نافع يعم نفعه ويبقى أثره.

فبالإيمان والتقوى والعدل وسع الله ملكه شرقا وغربا، تبدأ هذه الآية من الثالثة وثمانين حتى الثامنة وتسعين. (شحاتة، 204)

إن ذا القرنين أحد الملوك المؤمنين الذين ملكوا الدنيا وسيطروا على أهلها، فقد آتاه الله ملكا واسعا، ومنحه حكمة وهيبة وعلما نافعا ونحن لا نقطع بمعرفته بالذات ولا نؤمن إلا بالقدر الذي حكاه القرآن المجيد.

هيأ الله تعالى لذي القرنين الأسباب التي توصله إلى مراده، وأخبرنا عن وقائع ثلاث حدثت له في المغرب والمشرق والوسط، أما في مغرب الشمس فقد وجد قوما كافرين، فخيره الله بين أمرين: إما التعذيب بالقتل والإبادة جزاء كفرهم وطغيانهم وإما الاستبقاء والإرشاد إلى الحق والهدى وتوحيد الله، فاختار ذو القرنين الإمهال والدعوة إلى الله، وأقام فيهم مدة ردع فيها الظالم، ونصر المظلوم، وأقام العدل، ودعا إلى الله تعالى. (الصابوني، 195)

إن أهل الصلاح والإخلاص يحرصون على إنجاز الأعمال ابتغاء وجه الله، قال القرطبي: في هذه الآية (آية السد) دليل على اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد فيها، ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا يتركون وما هم عليه، بل يوجعون ضربا ويحبسون، أو يكفلون ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه. (القرطبي، 59)

فإذا احتاج الحاكم إلى دعم رعيته بذلوا أنفسهم قبل أموالهم، ويؤخذ بقدر الحاجة من أموالهم، وتصرف بتدبير، فهذا ذو القرنين أبى أخذ شيء من أموال القوم قائلا إن الأموال عندي والرجال عندكم، فكان التطوع بخدمة الأبدان أولى.

ونستبطن من هذا ما يلي:

1. أن الله تعالى مطلع على كل شيء، قال تعالى " وكذلك قد أحطنا بما لديه خبرا" رغم ما ذكر الله تعالى من عظيم ملك ذي القرنين والأسباب التي سخرها الله تعالى في السبيل السعي في المشارق الأرض ومغاربها، ذكر سبحانه أنّنا مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه، لا يخفى علينا منها شيء، وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض. (ابن كثير، 194)

٢. شكر النعمة إرجاعها لمنعمها، قال الله تعالى "قال هذا رحمة من ربي" أي هذه نعمة من الله ورحمة على عبادة، أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته فإذا جاء وعد ربي يعني فإذا دنا مجيء يوم القيامة. (الشنقيطي، 342)

3. كل من في الأرض سائر لزوال وفناء قال تعالى: (فإذا جاء وعد ربى جعله دكا) هذه نطقا بالحكمة لأنه يعلم أن كل صائر إلى زوال، ولأنه علم أن عملا عظيما مثل ذلك يحتاج الى التعهد والمحافظة عليه من الانهدام. (الصابوني، 199)

٤. إقامة العدل، قال تعالى: (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) التزم ذو القرنين في حكمه وملكه، وذلك في كل شيء حتى مع المخالفين له، فلم يتخذ الظلم والتجبر مسلكا في تعالمه من الغير.

5. العمل الجماعي والتعاون، قال تعالى: (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا)، ولكن تعاونك في الحق ولا في الباطل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل الذي يعين قومه على غير حق، كمثل بغير تردى في بئر، فهو ينزع منها بذنبه". (حبان، 271)

6. دحر الفساد في المجتمع وعدم السكوت عنه كما جاء في قوله تعالى على لسان ذي القرنين: (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا)، أي يجعل سداً بينهم وبين قوم يأجوج ومأجوج الذين يمثلون الفساد الذي طغى في المجتمع آنذاك.

فتعليم القيم فريضة ينبغي الاهتمام بها، ومسؤولية يتحملها الجميع دون استثناء، فهي تعتبر أكبر تحد نواجهه لمدى قدرتنا على تربية أطفالنا ليكونوا أفرادا صالحين في ذواتهم وأفكارهم ومشاعرهم.

الخاتمة:

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- منهج القرآن المتبع في هذه القصص هو المنهج الوصفي، فهناك وصف للشخصيات أو الأماكن، والعبارة الحكمية الوحيدة وردت في قصة صاحب الجنتين "وهو ظالم لنفسه".
- كانت الفكرة الرئيسة التي تضمنتها السورة هي نبذ زينة الحياة الدنيا والسعي وراء زينة الحياة الأخرى، من خلال الإيمان بالله وطاعته، وبذل الغالي والنفيس في سبيله، وهذه الفكرة تتضح في قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين.
- التمسك بالعقيدة والمبدأ وعدم الرضوخ للضلال والباطل.
- جواز الترحال فرارا بالدين أو خوفا من جور الحكام.
- الفكرة المهمة الأخرى في هذه السورة هي الإيمان بأن الغيب لا يعلمه إلا الله وأنّ العلم بالغيب يكون بإيحاء من الله وهذه الفكرة تتضح في قصة سيدنا موسى والخضر.
- اعتمدت قصة النبي موسى (عليه السلام) والعبد الصالح على التجريد عن الزمان والمكان والشخصيات.
- تختلف قصة موسى والعبد الصالح بأنها ذات طابع تعليمي، وأنها حددت إحدى شخصيات القصة المهمة.

التوصيات:

1. إجراء المزيد من الدراسات حول مضامين قصص هذه السورة لأنها قصص عظيمة فكل آية من هذه القصص لها إيحاءات ودلالات قد تستنبط منها قيم أخرى جليلة.
2. تخصيص دراسة لكل قصة من هذه القصص وتستنبط منها قيم أخرى.
3. إن يؤخذ من أسلوب القصص القرآنية أخذا حيا يربط بالواقع الذي نعيش فيه، إليه فما أصبت فيه فمنه وحده سبحانه وتعالى هو أهل الثناء والشكر، وما أخطأت فمن نفسي والشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين الصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه.

ونسأل الله تعالى أن يجعل علمنا هذا خالصا لوجهه الكريم لننتفع به والمؤمنون معا يوم الدين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المراجع:

القرآن الكريم.
مسلم، مصطفى، 1431هـ/2010، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1.
البقاعي، برهان الدين، 1408هـ/1987م، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط1.
مسلم، مسلم ابن الحجاج النيسابوري، د.ت، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ط.
الدوسري، منيرة محمد ناصر، 1426هـ، أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1.
الترمذي، محمد بن عيسى الضحاك، 1395هـ/1975م، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2.
البيهقي، أحمد بن الحسن بن علي، د.ت، سنن البيهقي، تحقيق: مصطفى عبد القادر القطان، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، د.ط.
البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، 1432هـ/2001م، صحيح البخاري، تحقيق: أحمد شاكر، ألفا، الهرم، ط2.
بن عاشور، محمد الطاهر، 1984م، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس، الدار التونسية.
شحاتة، عبد الله محمود، 1976م، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة العامة للكتاب.
عبيب، حورية، 1428هـ/2088م، أساليب الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم سورة الكهف نموذجاً، دار قرطبة، الجزائر، ط1.
ابن كثير، الحافظ أبي الفداء إسماعيل، 1428هـ/2007م، تفسير القرآن العظيم، دار الغد الجديدة، القاهرة، ط1.
الزحيلي، وهبة، 1432هـ/2011م، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط11.
الشعراوي، محمد متولي، 1997م، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
الحجاجي، حسن بن علي بن حسن الحجاجي، 1408هـ/1988م، الفكر التربوي عند ابن القيم، دار حافظ، جدة، ط1.
حوي، سعيد، د.ت، الأساس في التفسير، دار السلام، د.ط.
الصابوني، محمد علي، 1421هـ/2001م، صفوة التفاسير، دار الفكر، بيروت، د.ط.
القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين، 1423هـ/2003م، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
الشنقيطي، محمد الأمين، 1415هـ/1995م، أضواء البيان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
حبان، محمد بن حبان، 1408هـ/1988م، تقريب صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة.
عمر، الزمخشري جار الله أبو القاسم، 1418هـ/1998م، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في جوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض.